الباقيات الصالحات

د . كامل صبحي صلاح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الباقيات الصالحات

الأستاذ الدكتور/ كامل صبحي صلاح

أستاذ الفقه وأصوله

١٥ / ذي الحجة/ ١٤٤٣هـ

١٤ / ٧ / ٢٠٢٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إنّ مما يبقى للعبد ذخرًا وأجرًا وأثرًا وزادًا ونفعًا في الآخرة هي الباقيات الصالحات، حيث أنّ ثوابها الجزيل يبقى وأجرَها العظيم يدوم، وأثرها الكبير لا ينقطع، ولقد أخبر نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن الباقيات الصالحات، وبيّنها لنا في السنة الصحيحة، بل وأمرنا بالاستكثار منها، ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « استَكْثِرُوا من الباقياتِ الصالحاتِ: التسبيحُ والتهليلُ والتحميدُ والتكبيرُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ» «الجامع الصغير، السيوطي (٩٩٢) صحيح».

ولا ريب أنّ هذه الكلمات من عظيم الذكر لله تبارك وتعالى، وهي من أفضل الأعمال وأحسنها وأسهلها وأيسرها فالموفق من وفق لها، والمحروم من حُرمها، فذكر الله جل وعلا سببٌ في نجاة العبد ووقايته من النار – والعياذ بالله جل وعلا–، ويُعدّ الذكر من الباقيات الصالحات التي تبقى للعبد ذخرًا وأجرًا ونفعًا، فثوابها الجزيل والكبير يدوم ويبقى.

ولا شكّ أنّ الباقيات الصالحات بمعناها العام الشامل تشمل جميع أعمال وأبواب الخير، وجميع الطاعات، والحقوق والواجبات، فهي شاملة لحقوق الله جل وعلا، وحقوق عباده، من صلاة، وزكاة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وصدقة، وتعليم علم، وتقديم نصيحة ونفع، وقضاء حاجة، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وغير ذلك من أنواع القربات، والأعمال الصالحات، لربّ البريات جل وعلا، التي يبقى ثوابها، ويدوم جزاؤها.

وإنّ من عظيم مكانة وفضل هذه الكلمات المباركات، والباقيات الصالحات، أنهنّ يأتين يوم القيامة مُقَدِّماتٍ وَمُعَقِّباتٍ وَمُجَنِّباتٍ حيث يتقدمْن صاحبها يوم القيامة، كما صحّ ورود ذلك عن نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النارِ؛ قولوا: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلّا اللهِ، واللهُ أكبرُ، فإِنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقَدِّماتٍ وَمُعَقِّباتٍ وَمُجَنِّباتٍ، وَهُنَّ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ» «صحيح الجامع، الألباني(٣٢١٤)».

وإنّ مما ينبغي أن يُعلم ويُفهم أنّ الباقيات الصالحات: هي التي يبقى ثوابها، ويدوم جزاؤها، ويترتب عليها عظيم الأجر والثواب عند الله تبارك وتعالى، وهي أفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه سبحانه وتعالى، فينال بها في الآخرة ما كان يأمُله في الدنيا، بحيث تبقى للإنسان في الآخرة من الأعمال الصالحة، وهذا خير أمل يأمله العبد، وأفضل ثواب يتمناه.

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿والباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾ صِفَتانِ جَرَتا عَلى مَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، أيِ: الأعْمالُ الصّالِحاتُ الباقِياتُ، أيِ الَّتِي لا زَوالَ لَها، أيْ: لا زَوالَ لِخَيْرِها، وهو ثَوابُها الخالِدُ، فَهي خَيْرٌ مِن زِينَةِ الحَياةِ الدُّنْيا الَّتِي هي غَيْرُ باقِيَةٍ.

وإنّ من فضل الله تعالى ورحمته أن جعل أسبابًا كثيرةً لدوام الأجر والثواب، ورفع الدرجات، وغفران الذنوب وزوال العقاب، ومن ذلك ما بيّنه النبي ﷺ في سنته الصحيحة، كالعلم النافع، والصدقة الجارية، والولد الصالح، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسانُ انقطعَ عملُه إلا من ثلاثةٍ: من صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ يُنتفعُ به، وولدٍ صالحٍ يدعو لهُ»؛ أخرجه مسلم (١٦٣١).

وكما هو ظاهر في هذا الحديث أنّ العبد إذا مات لا يصل إليه الأجر والثواب من العمل، إلا في ثلاث حالات:

أوَّلُها: (الصَّدقَةُ الجاريةُ)، وهي التي يجري نفعُها فيدومُ أجْرُها، كالوقف وغيره.

وثانيها: (عِلْمٌ يُنتفَعُ به)، أي: بعد موته، وجاء تقييد العلم بِالمنتَفَعِ به، لأنّ العلم غير المنتفع به لا يُؤتى صاحبُه به أَجرًا.

وثالثُها: (وَلَدٌ صالحٌ يَدْعو له)، أي: ولد مؤمن صالح، وجاء تقييده بالصلاح تَحريضًا للولد على الدعاء لأبيه، لأنّ للوالد

ثَوابًا من ولده الصالح، سواءٌ دعا لأبيه أم لا، كمن غرس شجرةً فله ثوابٌ بأكل ثمرتها، سواءٌ دعا له الآكلُ أم لا، حتى أنّ الوالد تُرفع درجته في الجنّة بسبب استغفار ولده له، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الرجُلَ لَتُرْفَعُ درجتُهُ في الجنةِ فيقولُ: أنّى لِي هذا؟ فيُقالُ: بِاستغفارِ ولَدِكَ لَكَ»؛ «صحيح الجامع، الألباني، (١٦١٧).

وإنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته كذلك ما ورد ذكره في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ مِمّا يلحقُ المؤمنُ من عملِهِ وحسَناتِهِ بعدَ مَوتِهِ علمًا عَلَّمَهُ ونشرَهُ، أو ولدًا صالحًا تَرَكَهُ، أو مسجدًا بَناهُ، أو بيتًا لابنِ السَّبيلِ بَناهُ، أو نَهرًا كراهُ، أو صدقةً أخرجَها مِن مالِهِ في صحَّتِهِ وحياتِهِ، تلحقُهُ من بَعدِ مَوتِهِ»؛ صحيح ابن خزيمة، (٤/ ٢٠٤).

وإنّ هذه الأعمال يتجدَّدُ أجْرُها، بحيث يصل للإنسان بعد موته، وينطبق هذا الحكم والفضل على كلِّ ما سَنَّه الإنسانُ من أبواب الخير والنفع ويبقى أثرُه، ففي الحديث عن جرير بن عبدالله رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسَنةً فلهُ أجرُها، وأجرُ مَنْ عمِلَ بِها من بعدِهِ، من غيرِ أنْ يُنقَصَ من أُجورِهِمْ شيءٌ، ومَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيِّئةً فعليهِ وِزرُها، ووِزرُ مَنْ عمِلَ بِها من بعدِهِ، من غيرِ أنْ يُنقَصَ من أوْزارِهِمْ شيءٌ»؛ أخرجه مسلم (١٠١٧).

ولقد جاء تخصيص هذه الأمور الثلاثة الوارد ذكرها في الحديث دون غيرها من الأعمال الفاضلة الصالحة، لكونها أسس وأصولُ الخير، وهي أغلب ما يقصد أهل الفضل بقاءه بعدهم. ويشير الحديث إلى أهمية تعلُّمِ العلْمِ النّافع وبثِّه في النّاس، وكذلك الإحسان إلى الوالدَيْنِ بعْد موتِهما، وفضل التَّصدقّ بالصَّدقات الجارية.

ولقد ورد ذكر الباقيات الصالحات صريحًا في موضعين من كتاب ربنا جلّ وعلا:

الأول: في سورة الكهف، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٦]، أي: الأموال والأولاد جَمال وقوة وزينة في هذه الحياة الدنيا الفانية، والأعمالُ الصالحة -وبخاصة التسبيحُ والتحميد والتكبير والتهليل- أفضل أجرًا عند ربك تبارك وتعالى من المال والبنين، وهذه الأعمال الصالحة هي التي تبقى للإنسان وتنفعه، وهي أفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه سبحانه وتعالى، فينال بها في الآخرة ما كان يأمُله في الدنيا.

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى:﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوابًا﴾ أيْ: أفْضَلُ مِن هَذِهِ الزِّينَةِ بِالمالِ والبَنِينِ ثَوابًا وأكْثَرُ عائِدَةً ومَنفَعَةً لِأهْلِها (وخَيْرٌ أمَلًا) أيْ: أفْضَلُ أمَلًا، يَعْنِي أنَّ هَذِهِ الأعْمالَ الصّالِحَةَ لِأهْلِها مِنَ الأمَلِ أفْضَلُ مِمّا يُؤَمِّلُهُ أهْلُ المالِ والبَنِينَ؛ لِأنَّهم يَنالُونَ بِها في الآخِرَةِ أفْضَلَ مِمّا كانَ يُؤَمِّلُهُ هَؤُلاءِ الأغْنِياءُ في الدُّنْيا، ولَيْسَ في زِينَةِ الدُّنْيا خَيْرٌ حَتّى تُفَضَّلَ عَلَيْها الآخِرَةُ، ولَكِنَّ هَذا التَّفْضِيلَ خَرَجَ مَخْرَجَ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿أصْحابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤].

والثاني: في سورة مريم، قال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، أي: أنه جلّ وعلا يزيد المهتدين الذين اهتدوا لدينه هداية من فضله عليهم ورحمته بهم، والهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح. فكلّ من سلك طريقًا في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله تعالى منه، وسهّله عليه ويسّره له، ووهب له أمورًا أخر، لا تدخل تحت كسبه، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه، كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ ويدل عليه أيضا الواقع، فإنّ الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور، أعظم تفاوت، ثم قال الله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ أي: الأعمال الباقية، التي لا تنقطع إذا انقطع غيرها، ولا تضمحل، هي الصالحات منها، من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وعمرة، وقراءة، وتسبيح، وتكبير، وتحميد، وتهليل، وإحسان إلى المخلوقين، وأعمال قلبية وبدنية. فهذه الأعمال ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ أي: خيرٌ عند الله جل وعلا، ثوابها وأجرها، وكثير للعاملين نفعها وردها، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه، فإنه ما ثم غير الباقيات الصالحات، عمل ينفع، ولا يبقى لصاحبه ثوابه ولا

ينجع، ومناسبة ذكر الباقيات الصالحات أنه لما ذكر أنّ الظالمين جعلوا أحوال الدنيا من المال والولد، وحسن المقام ونحو ذلك، علامة لحسن حال صاحبها، أخبر هنا أنّ الأمر، ليس كما زعموا، بل العمل الذي هو عنوان السعادة ومنشور الفلاح، هو العمل بما يحبه الله جل وعلا ويرضاه.

وقال الطبري في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أي: والأعمال التي أمر الله سبحانه وتعالى بها عباده ورضيها منهم، الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات، خير عند ربك جزاء لأهلها ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله، وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا.

ولقد ورد ذكر الباقيات الصالحات في أكثر من حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبروايات متعددة ومتنوعة، وفي بعض الآثار كذلك، ومنها:

– عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:«خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النارِ؛ قولوا: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلّا اللهِ، واللهُ أكبرُ، فإِنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقَدِّماتٍ وَمُعَقِّباتٍ وَمُجَنِّباتٍ، وَهُنَّ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ»؛ أخرجه النسائي «السنن الكبرى» (١٠٦٨٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٢٧) باختلاف يسير، صحيح الجامع، الألباني (٣٢١٤).

ففي هذا الحديث يُبين النَّبيُّ ﷺ لأصحابه وأمته: «خُذوا جُنَّتَكم»، أي: احترسوا وخذوا وقايتكم من النار، ويكون ذلك بأن تجعلوا بينكم وبين النار – والعياذ بالله جل وعلا – حاجزًا ووقايةً، ثم أخبر النَّبيُّ ﷺ عن كيفية الوقاية من النار ومن أسباب ذلك ذكرُ الله تبارك وتعالى، وقول العبد «سُبحانَ اللهِ»، وهي بمعنى تنزيه ربنا جل وعلا عن كلّ ما لا يليق بذات الله تعالى، وكذلك قول: «والحَمْدُ لله»، وهي بمعنى الثناء على الله جل وعلا، فهو سبحانه وتعالى أجلّ أن يعظّم وأن يجلّ وأن يُشكر، وكذلك قول: «لا إِلَهَ إلّا اللهُ»، وهي بمعنى لا معبود بحق إلا الله تعالى، فهو سبحانه المستحق أن يُفرَدَ بالعبادة والألوهية. وكذلك قول

«اللهُ أَكْبَرُ»، وهي بمعنى إثبات للعظمة والكبرياء لخالق الأرض والسموات، فهو أكبر من كلّ شيء جلّت قدرته، وتعالت أسماؤه وصفاته.

وقوله: «فإنَّهُنَّ»، أي: فإنَّ هذه الكَلِماتِ، «يَأْتينَ يومَ القِيامَةِ مُقدِّماتٍ» أي: يَتقدَّمْنَ صاحبَها يومَ القِيامةِ، «ومُعَقِّباتٍ»، أي: هُنَّ كلِماتٌ يَأْتي بعْضُها عقِبَ بعْضٍ، «ومُجَنِّباتٍ»، أي: هي التي تكونُ في المِيْمَنةِ والمِيْسَرةِ، فكأنَّهن جَيْشٌ من جِهَةِ قائِلِهِنَّ تَسْتُرْنَهُ عن النارِ، «وهُنَّ الباقياتُ الصّالِحاتُ»، أي: باقياتٌ لصاحِبِها وصالحاتٌ لجَزيلِ ثَوابِها في المعادِ وحينَ الحاجَةِ، ويَحتمِلُ أنْ يُريدَ بها قوْلَهُ تَعالى: {والْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا} [مريم: ٧٦].

– وفي الحديث كذلك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « خُذوا جُنَّتَكُمْ، قُلْنا يا رسولَ اللَّهِ، مِن عدُوٍّ حضَرَ؟ قالَ: لا، بَلْ جُنَّتُكُمْ مِنَ النّارِ قولُ سُبحانَ اللَّهِ، والحمدُ للَّهِ، ولا إلهَ إلّا اللَّهُ،

واللَّهُ أكبرُ؛ فإنَّها تأتي يومَ القيامةِ مُنْجِياتٍ ومُقدَّماتٍ، وهُنَّ الباقياتُ الصّالحاتُ»؛ الحاكم، تفسير الباقيات الصالحات ٢٣/١، صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

- وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أن استكثِروا مِنَ الباقياتِ الصّالحاتِ. قيلَ: وما هُنَّ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: المِلَّةُ. قيلَ: وما هي؟ قالَ: التَّكبيرُ والتَّهليلُ، والتَّسبيحُ، والتَّحميدُ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللهِ»؛ المستدرك على الصحيحين (١٩١٣).

- وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « استكثِروا مِنَ الباقياتِ الصّالحاتِ قيل وما هي يا رسولَ اللهِ قال: التَّكبيرُ والتَّهليلُ والتَّحميدُ والتَّسبيحُ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلّا باللهِ»؛ « إسناده حسن: أخرجه أحمد (١١٧٣١)، وأبو يعلى (١٣٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٣٤/١٨) باختلاف يسير».

- وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « استَكْثِرُوا من الباقياتِ الصالحاتِ: التسبيحُ والتهليلُ والتحميدُ والتكبيرُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ»؛ «الجامع الصغير، السيوطي (٩٩٢) صحيح».

– وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « سبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبرُ منَ الباقياتِ الصّالحاتِ»؛ أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٨٤)، وانظر: السلسلة الصحيحة، الألباني (٣٢٦٤).

– وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الباقياتُ الصّالحاتُ: لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، وسبحانَ اللَّهِ واللَّهُ أَكْبَرُ، والحمدُ للَّهِ، ولا حَولَ ولا قوّةَ إلّا باللَّهِ»؛ صحيح: أخرجه أحمد (١١٧٣١)، وأبو يعلى (١٣٨٤)، والطبري في تفسيره (٣٤/١٨) بنحوه.

– وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

– وعن سعيد بن المسيب، قال: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

– وعن مجاهد، قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، عن نافع بن سرجس، أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات، قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

- وعن مجاهد، في قوله ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

- وعن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ قال: هي ذكر الله قول لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وتبارك الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحجّ والصدقة والعتق والجهاد والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهنّ الباقيات الصالحات، التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السماوات والأرض.

- وقال ابن زيد، في قوله تعالى: (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا) قال: الأعمال الصالحة.

ولا شكّ أنّ الباقيات الصالحات بمعناها العام الشامل، هي التي تشمل جميع أعمال الخير، وجميع الطاعات الواجبة والمستحبة من حقوق الله جل وعلا، وحقوق عباده، من صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وغير ذلك من أنواع العبادات والقربات، والأعمال الصالحات، لربّ البريات جل وعلا، التي يبقى ثوابها، ويدوم جزاؤها.

حيث أنّ الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ بقوله: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله)، هنّ من الباقيات الصالحات، ولم يقل: هنّ جميع الباقيات الصالحات، ولا كلّ الباقيات الصالحات، فهذا الذكر من الباقيات الصالحات، وغيره من أعمال البرّ والخير أيضًا من الباقيات الصالحات، وهذا ما قرره العلماء بهذا الخصوص، وهذه بعض نقولاتهم وأقوالهم:

قال الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هنّ جميع أعمال الخير، كالذي رُوي عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، لأنّ ذلك كلّه من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة، وعليها يُجازى ويُثاب، وإنّ الله عزّ ذكره لم يخصص من قوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ بعضًا دون بعض في كتاب، ولا بخبر عن رسول الله ﷺ.

فإن ظنّ ظانّ أنّ ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فإنّ ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أنّ الخبر عن رسول الله ﷺ إنما ورد بأن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هنّ من الباقيات الصالحات، ولم يقل: هنّ جميع الباقيات الصالحات، ولا كلّ الباقيات الصالحات، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات، وغيرها من أعمال البرّ أيضًا باقيات صالحات».

وقال الشوكاني في "فتح القدير": والظّاهِرُ أنَّ الباقِياتِ الصّالِحاتِ كُلُّ عَمَلٍ خَيْرٍ، فَلا وجْهَ لِقَصْرِها عَلى الصَّلاةِ كَما قالَ البَعْضُ، ولا لِقَصْرِها عَلى نَوْعٍ مِن أنْواعِ الذِّكْرِ كَما قالَهُ بَعْضٌ آخَرُ، ولا عَلى ما كانَ يَفْعَلُهُ فُقَراءُ المهاجِرِينَ بِاعْتِبارِ السَّبَبِ؛ لِأنَّ العِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، وبِهَذا تَعْرِفُ أنَّ تَفْسِيرَ الباقِياتِ الصّالِحاتِ في الأحادِيثِ بِما سَيَأْتِي لا يُنافِي إطْلاقَ هَذا اللَّفْظِ عَلى ما هو عَمَلٌ صالِحٌ مِن غَيْرِها.

وقال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿والباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾ أيْ: أعْمالُ الخَيْرِ.

وقال البقاعي في نظم الدرر: ﴿والباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾ وهي أعْمالُ الخَيْرِ المجَرَّدَةُ الَّتِي يُقْصَدُ بِها وجْهُ اللَّهِ تَعالى الَّتِي رَغَّبَنا فِيها.

وقال الشنقيطي في تفسيره: التَّحْقِيقُ أنَّ "الباقِياتِ الصّالِحاتِ" لَفْظٌ عامٌّ، يَشْمَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسَ، والكَلِماتِ الخَمْسَ المذْكُورَةَ، وغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأعْمالِ الَّتِي تُرْضِي اللَّهَ تَعالى: لِأنَّها باقِيَةٌ لِصاحِبِها غَيْرُ زائِلَةٍ. ولا فانِيَةٍ كَزِينَةِ الحَياةِ الدُّنْيا، ولِأنَّها أيْضًا صالِحَةٌ لِوُقُوعِها عَلى الوَجْهِ الَّذِي يُرْضِي اللَّهَ تَعالى.

وقال السعدي: «وأنّ الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره، الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة والمستحبة من حقوق الله جل وعلا، وحقوق عباده، من صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وقراءة، وطلب علم نافع، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وصلة رحم، وبر والدين، وقيام بحق الزوجات، والمماليك، والبهائم، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق، كلّ هذا من الباقيات الصالحات، فهذه خيرٌ عند الله تبارك وتعالى ثوابًا وخيرٌ أملًا، فثوابها يبقى، ويتضاعف على الآباد، ويؤمل أجرها وبرّها ونفعها عند الحاجة، فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون، ويستبق إليها العاملون، ويجدّ في تحصيلها المجتهدون، وتأمّل كيف لما ضرب الله جل وعلا مثل الدنيا وحالها واضمحلالها ذكر أنّ الذي فيها نوعان: نوع من زينتها، يتمتع به قليلًا، ثم يزول بلا فائدة تعود لصاحبه، بل ربما لحقته مضرته وهو المال والبنون ونوع يبقى وينفع صاحبه على الدوام، وهي الباقيات الصالحات».

فضل تلكم الكلمات (الباقيات الصالحات):

لقد وردت عدة أحاديث في السنة الصحيحة تدلّ على فضل الأعمال الباقيات الصالحات مما يدلّ على عظيم أجرهنّ، وكثرة ثوابهن، ومنها: أنهنّ مما تثقّل بها الموازين يوم القيامة، وأنهنّ ينعطِفن حول العرش، وأنهنّ سبب في تكفير الذنوب والسيئات، وأنهنّ غرس الجنة ووصية نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأنهنّ أحبّ الكلام إلى الله جل وعلا، وأنهنّ خيرٌ من الدنيا وما عليها، وأنهنّ جُنّةٌ لقائلهنّ من النار، وأنهنّ يقمن مكان الصدقة بالمال، وأنَّه ليس أحد أفضل عند الله تبارك وتعالى من مؤمن يعمّر في الإسلام يكثر تكبيره، وأنَّ الله جل وعلا اختار هؤلاء الكلمات واصطفاهنَّ لعِباده، ولقد جعلهنّ النبي صلى الله عليه وسلم عن القرآن الكريم في حقِّ من لا يُحسنه، إلى غير ذلك من الفضائل العظيمة، للباقيات الصالحات، وإليكم تفصيل ذلك:

١- **أنهنّ ينعطِفن حول العرشِ ولهنَّ دويٌّ كدويِّ النَّحلِ تذكِّرُ بصاحبِها**، ففي الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ ما تذكرون من جلالِ اللهِ التَّسبيحَ والتَّهليلَ والتَّحميدَ ينعطِفن حول العرشِ لهنَّ دويٌّ كدويِّ النَّحلِ تذكِّرُ بصاحبِها أما يحِبُّ أحدُكم أن يكونَ له أو لا يزالُ له من يذكِّرُ به»؛ «الترغيب والترهيب، المنذري (٢/٣٥٥)، إسناده صحيح».

ومعنى قوله: «إنَّ ممّا تذكُرونَ مِن جَلالِ اللهِ»، أي: من تَعظيمِه.

«التَّسبيحَ»، وهو قولُ: سُبحانَ اللهِ.

«والتَّهليلَ» وهو قولُ: لا إلهَ إلّا اللهُ.

«والتَّحميدَ» وهو قولُ: الحمدُ للهِ.

«يَنْعَطِفْنَ حَولَ العرْشِ»، أي: هؤلاء الكلماتُ والجُمَلُ الأربعُ يَمِلْنَ ويَدُرْنَ حولَه، والمرادُ طَوافُهنَّ حَولَ العرشِ.

«ولهنَّ دَوِيٌّ كدَوِيِّ النَّحلِ»، أي: صَوتٌ يُشْبِهُ صَوتَ النَّحلِ؛ مِن كثرةِ تَكرارِ هذه الكلماتِ وتَرديدِها.

«تُذَكِّرُ بصاحبِها»، أي: تذكُرُ أنَّ قائلَها فلانٌ، في المقامِ الأعلى، وفي هذا أعظَمُ حَضٍّ على الذِّكْرِ بهذه الألفاظِ، «أَما يُحِبُّ أحدُكم أنْ يكونَ له أو لا يزالَ له مَن يُذَكِّرُ به»، أي: عندَ اللهِ تبارك وتعالى وحَولَ عرْشِه سبحانه.

وفي الحديث الحثّ على الاستكثارِ مِن هذا الذِّكْرِ. فالتَّسبيحُ: تنزيهٌ للهِ جل وعلا عن كلِّ ما لا يليقُ به. والتَّحميدُ: إثباتٌ لأنواعِ الكمالِ للهِ جل وعلا في أسمائِه وصِفاتِه وأفعالِه.

والتَّهليلُ: إخلاصٌ وتوحيدٌ للهِ جل وعلا، وبَراءةٌ مِن الشِّركِ. والتَّكبيرُ: إثباتٌ لعَظَمَةِ اللهِ جل وعلا، وأنَّه لا شيءَ أكبَرُ منه سبحانه وتعالى؛ فاشتمَلَتْ هذه الجملُ على جُملةِ أنواعِ الذِّكْرِ مِن التَّنزيهِ والتَّحميدِ والتَّوحيدِ والتَّمجيدِ، ودِلالتُها على جميعِ المطالِبِ الإلهيَّةِ إجمالًا، مما يدلّ دلالة واضحة جليّة على أهمية وفضل ذكره جلّ وعلا.

٢- أنهنّ مما تُثقّل بها الموازين يوم القيامة:

ففي الحديث عن أبي سلمى راعي رسول الله: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:« بخٍ بخٍ وأشار بيدِه لخمسٍ ما أثقلَهنَّ في الميزانِ سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبرُ والولدُ الصّالحُ يُتوَفّى للمرءِ المسلمِ فيحتسِبُه»؛ «الترغيب والترهيب، المنذري (١٢٣/٣)، بإسناد صحيح».

ومعنى قوله ﷺ: «بَخٍ بَخٍ» كَلِمةٌ تُقالُ عِندَ الرِّضا والإعْجابِ.

«لخَمسٌ ما أثقَلُهُنَّ في الميزانِ» أي: في الأجْرِ والثَّوابِ لِمَن فَعَلَهُنَّ، والمرادُ بالميزانِ: هو ما يُوزَنُ به أعْمالُ العِبادِ يَومَ القِيامةِ.

«لا إلهَ إلّا اللهُ»، وهي كلِمةُ التَّوحيدِ الخالصَةُ الَّتي تَعْني أنَّه لا مَعْبودَ بحَقٍّ إلّا اللهُ، وأنَّه وَحْدهُ المستحِقُّ للعِبادةِ، وهي أعظمُ كَلمةٍ، ولا يَنجو من النّارِ إلّا مَن وافى اللهَ تعالى بها مُخلِصًا من قَلبِهِ.

«واللهُ أكبَرُ»، وفيها مَعنى العَظَمةِ للهِ جل وعلا، وأنَّه أعْلى وأكبَرُ مِن كلِّ شيءٍ،

«وسُبحانَ اللهِ»، ومَعْناها التَّنزيهُ الكامِلُ للهِ تَعالى عن كُلِّ نَقْصٍ، ووصْفُهُ بالكَمالِ التّامِّ الَّذي يَليقُ بجَلالِهِ سبحانه.

«والحَمدُ للهِ»، ومَعْناها الاعتِرافُ بأنَّ اللهَ تبارك وتعالى هو المستحِقُّ وَحْدَهُ لِمَعاني الشُّكرِ والثَّناءِ، وهذه هي الباقِياتُ الصّالِحاتُ الَّتي يَبْقى أجْرُها لِصاحِبِها عِندَ اللهِ جل وعلا.

«والولَدُ الصّالِحُ يُتوفّى فيَحتَسِبُهُ والِداهُ» يَدَّخِرانِ الأجْرَ والثَّوابَ عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ وهُما راضيانِ، وثِقَلَ ذلِكَ في الميزانِ لِعِظَمِ المصيبةِ بمَوتِهِ.

ثم قالَ النَّبيُّ ﷺ: «بَخٍ بَخٍ» وهي كلمةُ تعجُّبٍ «لَخَمسٌ»، أي: لَخَمسُ خِصالٍ أُخْرى، وهذه الخِصالُ «مَن لقِيَ اللهَ مُستَيقِنًا بِهِنَّ» مُؤمِنًا بِهِنَّ إيمانًا كامِلًا: «دخَلَ الجَنَّةَ» يَعني كان جَزاؤُهُ الجَنَّةَ، ثم عدَّدَ هذه الخِصالَ بقولِه: «يُؤمِنُ باللهِ» بأن يُوحِّدَه ويُخلصَ العَمَلَ له عزَّ وجلَّ، «واليَومِ الآخِرِ»، وهو يَومُ القِيامةِ، «وبالجَنَّةِ والنّارِ» بوُجودِهِما، وأنَّهما ثَوابُ اللهِ وعِقابُه، «والبَعْثِ بعدَ الموتِ، والحِسابِ» وذلِكَ بأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ سيَرُدُّ إلى العِبادِ أرْواحَهُم لِيَحشُرَهم للحِسابِ، ومُجازاتِهِم على أعْمالِهِم، وهذه الخَمسُ من الإيمانِ بالغَيبِ الذي يَبعَثُ على حُسنِ العَمَلِ رجاءَ الثَّوابِ من اللهِ جل وعلا والخَوفِ من عِقابِهِ.

٣- أنهنّ سبب لتساقط ذنوبِ العبدِ كما تساقطَ ورقُ الشجرةِ، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أن النبيَّ ﷺ مرّ بشجرةٍ يابسةِ الورقِ فضربها بعصاهُ فتناثر الورقُ فقال: إنَّ الحمدُ للهِ وسبحانَ اللهِ ولا

إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ لتساقط من ذنوبِ العبدِ كما تساقطَ ورقُ هذه الشجرةِ» «صحيح الترمذي، الألباني (٣٥٣٣)، بإسناد حسن».

وفي الحديث دليل على تَفضَّل اللهُ سُبْحانهُ وتعالى على عِبادِهِ بأُمورٍ مِنَ الأَقْوالِ والأَذْكارِ الَّتي يُعطي عليها أجْرًا عظيمًا مِن فضْلِهِ وكرَمِهِ، فتكونُ رَفْعًا للدَّرجاتِ، وزيادةً في أجْرِهِ، وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ: الحَمْدَ للهِ» ومَعْناها الاعْتِرافُ بأنَّ اللهَ هو المسْتحِقُّ وحْدَهُ لمعاني الشُّكرِ والثَّناءِ، «وسُبْحانَ اللهِ» ومَعْناها التَّنْزيهُ الكامِلُ للهِ تعالى عن كُلِّ نَقْصٍ ووَصْفُهُ بالكمالِ التامِّ الذي يَليقُ بجَلالِهِ «ولا إلَهَ إلّا اللهُ» وهي كلِمةُ التَّوْحيدِ الخالِصَةُ التي تَعْني أنَّه لا مَعْبودَ بِحَقٍّ إلّا اللهُ، وأنَّه وحدَهُ المسْتحِقُّ للعِبادَةِ «واللهُ أكْبَرُ» وفيها مَعْنى العَظَمةِ للهِ، وأنَّه أعْلى وأكْبرُ من كُلِّ شَيْءٍ، «لَتُساقِطُ من ذُنوبِ العَبْدِ»، أي: تتسبَّبُ في غُفْرانِها «كما تَساقَطَ وَرَقُ هذه الشَّجَرَةِ» وهذا من فضْلِ اللهِ ورحْمَتِهِ لعِبادِهِ بسَبَبِ الذِّكْرِ، وهذا بَيانٌ لعَظيمِ الاسْتِغْفارِ بِهِنَّ.

٤- عِظم أجرهنّ، وكثرة ثوابهن:

ففي الحديث عن فاختة بنت أبي طالب أم هانئ قالت: «مرَّ بي رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ قد كبِرتُ وضعفتُ -أو كما قالت- فمرني بعملٍ أعملُه وأنا جالسةٌ قال: سبِّحي اللهَ مائةَ تسبيحةٍ فإنها تعدلُ لك مائةَ رقبةٍ تعتقينها من ولدِ إسماعيلَ واحمدي اللهَ مائةَ تحميدةٍ فإنها تعدلُ لكِ مائةَ فرسٍ مُسرجةٍ مُلجمةٍ تحملين عليها في سبيلِ اللهِ وكبري اللهَ مائةَ تكبيرةٍ فإنها تعدلُ لكِ مائةَ بدنةٍ مُقلدةٍ متقبلةٍ وهللي اللهَ مائةَ تهليلةٍ — قال أبو خلفٍ: أحسبُه قال:- تملأُ ما بين السماءِ والأرضِ ولا يرفعُ يومئذٍ لأحدٍ عملٌ أفضلُ مما يرفعُ لكِ إلا أنْ يأتيَ بمثلِ ما أتيتِ».

« أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٨٠)، وابن ماجه (٣٨١٠)، وأحمد (٢٦٩١١) باختلاف يسير، المتجر الرابح، الدمياطي (٢١٧)، إسناده حسن».

٥- أنَّهنَّ أحبّ الكلام إلى الله جل وعلا:

ففي الحديث عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحَبُّ الكلامِ إلى اللهِ تعالى أربعٌ: سُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ، ولا يَضرُّكَ بِأيِّهِنَّ بدأْتَ» «أخرجه مسلم (٢١٣٧)».

قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى:

قوله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله تعالى) أي المتضمن للأذكار والأدعية (أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) لتضمنها تنزيهه تعالى عن كل ما يستحيل عليه ووصفه بكل ما يجب له من أوصاف كما له وانفراده بوحدانيته واختصاصه بعظمته وقدمه المفهومين من أكبريته ولتفصيل هذه الجملة علم آخر (لا يضرك) أيها المتكلم بهن في حيازة ثوابهن (بأيهن بدأت) فلا ينقص ثوابها بتقديم بعضها على بعض لاستقلال كل واحد من الجمل لكن الأفضل ترتيبها هكذا.

«التيسير بشرح الجامع الصغير،المناوي (٧٩/١)».

٦- أنهنّ غرس الجنة وهي وصية نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

ففي الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسْرِيَ بي فقالَ: يا محمَّدُ، أقرئ أمَّتَكَ منِّي السَّلامَ وأخبِرْهُم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عذبةُ الماءِ، وأنَّها قيعانٌ، وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إلَهَ إلّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبرُ»

«أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) واللفظ له، والطبراني (١٠/٢١٤) (١٠٣٦٣)، صحيح الترمذي، الألباني (٣٤٦٢) حسن».

فلقد ورد في هذا الحديث ذكر الجنة التي هي دارُ الكرامةِ التي أعدَّها اللهُ جلّ وعلا لعِبادِه المؤمنِينَ، وهي طيِّبةٌ وفيها ما لا عَينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سمِعتْ ولا خَطَرَ على قلَبِ بَشَرٍ، حيث جاءَ وصْفُها وذِكرُ الأعمالِ التي تَكونُ سَببًا في دُخولِها والفوزِ بها في نُصوصٍ كثيرةٍ، وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «لقيتُ إبراهيمَ ليلةَ أُسرِيَ بي»، أي: قابَلتُ نبيَّ اللهِ إبراهيمَ ليلةَ الإسراءِ حينَ صَعِدتُ إلى السَّمواتِ العُلا، «فقال»، أي: نبيُّ اللهِ إبراهيمُ:

«يا محمَّدُ، أقرِئْ أمَّتَك منِّي السَّلامَ»، أي: أَبْلِغْهم سَلامي عليهم.

«وأخبِرْهم أنَّ الجنَّةَ طيِّبةُ التُّربةِ عَذبةُ الماءِ»، أي: وأبلِغْهم أيضًا أنَّ الجنَّةَ تُربتُها طيِّبةٌ وماؤُها عَذبٌ.

«وأنَّها قِيعانٌ»، أي: وأخبِرْهم أنَّ تُربةَ الجنَّةِ قِيعانٌ، جمعُ قاعٍ، أي: أرضٌ مُستوِيةٌ مُتساويَةٌ.

«وأنَّ غِراسَها سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبَرُ»، أي: وأخبِرْهم أنَّ الَّذي يُغرَسُ به في تُربةِ الجنَّةِ التَّسبيحُ والتَّحميدُ والتَّهليلُ والتَّكبيرُ، وهذا مِثلُ قولِه ﷺ: «مَن قال: سُبحانَ اللهِ العظيمِ وبِحَمدِه، غُرِسَت له نَخلةٌ في الجنَّةِ»؛ فالإكثارُ مِن ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِن أجَلِّ الطّاعاتِ، ومِن أوسَعِ أبوابِ إكثارِ الحَسَناتِ وتَكفيرِ السَّيِّئاتِ، وسَببٌ في دُخولِ الجَنّاتِ.

وفي الحَديثِ: بيانُ سَلامِ نبيِّ اللهِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ على أمَّةِ النَّبيِّ ﷺ.

وفيه: الحَثُّ على الاجتهادِ لدُخولِ الجنَّةِ والظَّفَرِ بتُربتِها الطَّيِّبةِ ومائِها العذبِ، والحثُّ على الإكثارِ مِن غِراسِ الجنَّةِ؛ (التَّسبيحِ والتَّحميدِ والتَّهليلِ والتَّكبير).

قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى: قوله:(رأيت إبراهيم) الخليل (ليلة أسرى بي فقال يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان) جمع قاع وهو أرض مستوية لأبناء ولا غراس فيها (وغراسها) جمع غرس وهو ما يغرس (سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله) أي أعلمهم أن هذه الكلمات تورث قائلها دخول الجنة وأن الساعي في اكتسابها لا يضيع سعيه لأنها المغرس الذي لا يتلف ما استودع فيه.

«التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي (٢/٤٩)».

٧- **أَنَّهنَّ جُنّةٌ لقائلهنّ من النار**، ويأتين يوم القيامة مُنجيات لقائلهنّ ومقدّمات له:

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:« خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النارِ؛ قولوا: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلّا اللهِ، واللهُ أكبرُ، فإِنَّهنَّ يأتينَ يومَ القيامةِ مُقَدِّماتٍ وَمُعَقِّباتٍ وَمُجَنِّباتٍ، وَهُنَّ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ» «أخرجه النسائي «السنن الكبرى» (١٠٦٨٤)، والطبراني «المعجم الأوسط» (٤٠٢٧) باختلاف يسير، صحيح الجامع، الألباني (٣٢١٤)».

٨- ومن فضائلهنَّ: أنَّه ليس أحدٌ أفضل عند الله تبارك وتعالى من مؤمن يُعمِّرُ في الإسلام يكثر (تكبيره وتسبيحه وتهليله وتحميده): ففي الحديث عن طلحة بن عبيدالله رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس أحَدٌ أفضلَ عند اللهِ من مُؤمِنٍ يُعمِّرُ في الإسلامِ، لِتكْبِيرِهِ، وتَحمِيدِهِ، وتَهلِيلِهِ» «صحيح الجامع، الألباني، (٥٣٧١)».

وفي الحديث كذلك عن عبدالله بن شداد رضي الله تعالى عنه قال:« إنَّ نفرًا منْ بني عُذرةَ - ثلاثةً - أتوُا النبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأسلَموا، فقال النبي صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْ يَكفينيهمْ؟، قال طلحةُ: أنا؛ فكانوا عندَهُ، فبعث النبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعثًا، فخرج فيهِ أحدُهم، فاستُشهِد، ثم بعث بعثًا فخرج فيه الآخرُ، فاستُشهدَ، ثم مات الثالثُ على فراشِهِ؛ قال: قال طلحةُ: فرأيتُ هؤلاءِ الثلاثةَ في الجنةِ، ورأيتُ الميتَ على فراشِهِ أمامَهم، والذي استُشهِد آخرًا يليهِ، وأولُهم يليهِ، فدخلني مِن ذلكَ، فذكرتُ للنبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذلك؟ فقال: وما أنكرتَ من ذلكَ؟ ليس أحدٌ أفضلَ عند اللهِ مِنْ مؤمنٍ يُعمَّرُ في الإسلامِ؛ لتسبيحِهِ وتكبيرِهِ وتهليلِه».

«تخريج مشكاة المصابيح، الألباني (٥٢٢٣)، بإسناد حسن».

٩- ومن فضائلهنَّ: أنَّ الله جل وعلا اختار هؤلاء الكلمات واصطفاهنَّ لعِباده، ورتّب على ذِكره بهنّ أجورًا عظيمةً، وثوابًا جزيلًا:

ففي الحديث عن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ اللهَ اصطفى مِنَ الكلامِ: سُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلَهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، فإذا قالَ العبدُ: سُبحانَ اللهِ؛ كَتَبَ اللهُ

له عِشرينَ حسنةً، أوْ حَطَّ عنه عشرينَ سيِّئةً، وإذا قالَ: اللهُ أَكبرُ؛ فمِثلُ ذلك، وإذا قالَ: لا إلَهَ إلّا اللهُ؛ فمِثلُ ذلك، وإذا قالَ العبدُ: الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ مِن قِبَلِ نفسِه؛ كُتِبتْ له ثلاثونَ حسنةً، وحُطَّ عنه ثلاثونَ سيِّئةً» «المستدرك على الصحيحين (١٩١٠)، الحاكم صحيح على شرط مسلم».

١٠- ومن فضائلهن: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم جعلهنّ عن القرآن الكريم في حقِّ من لا يُحسنه:

ففي الحديث عَنِ ابْنِ أبي أَوْفى رَضِيَ اللَّهُ عنهُما، قالَ: جاءَ رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّي لا أستطيعُ أنْ أتعلَّمَ القرآنَ، فعلِّمْني شيئًا يُجْزِينِي، قالَ: تقولُ: سُبحانَ اللَّهِ، والحمدُ للَّهِ، ولا إلهَ إلّا اللَّهُ، واللَّهُ أكبرُ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللَّهِ، فقالَ الأعرابيُّ: هكَذا، وقبَضَ يدَيْهِ فقالَ: هذا للَّهِ، فما لي؟ قالَ: تقولُ: اللَّهمَّ اغفَرْ لي، وارحَمْني، وعافِني، وارزُقْني، واهدِني، فأخَذَها الأعرابيُّ وقبَضَ كفَّيْهِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: أمّا هذا فقَدْ ملَأَ يدَيْهِ بالخَيرِ».

«تفسير الباقيات الصالحات، صلاح الدين العلائي (٤٥/١)، والحديث صححه الدارقطني وغيره [ويقوى بغيره]».

١١- ومن فضائلهنّ أنَّ النبي ﷺ أخبر أنّهنَّ أحبُّ إليه مما طلعت عليه الشمس:

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحانَ اللهِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ، واللَّهُ أَكْبَرُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ» «أخرجه مسلم (٢٦٩٥)».

وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النَّبيُّ ﷺ «لَأن أَقولَ» مِن الأذكارِ والأورادِ، «سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ وَلا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أَكبرُ، أحبُّ إليَّ ممّا طَلَعتْ عَليهِ الشَّمسُ» يَعني: أحبُّ إليَّ مِن كلِّ الدُّنيا وما فيها منَ الأَموالِ وَغيرِها، ويَحتمِلُ أنْ يكونَ معنى ذلك: أنَّ تلك الأذكارَ أَحَبُّ إليه مِن أنْ تكونَ له الدُّنيا، فيُنفِقَها في سَبيلِ اللهِ جل وعلا وفي أوجُهِ البِرِّ والخيرِ؛ وإلّا فالدُّنيا مِن حيث هي دُنْيا لا تَعدِلُ عندَ اللهِ تبارك وتعالى جَناحَ بَعوضةٍ، وكذلك هي عندَ أنبيائهِ عليهم الصلاة والسلام، ولا يُفهَمُ منه أنَّ هذا الذِّكرَ أفضَلُ الأذكارِ، بل هو مَحمولٌ على أنَّه أفضَلُ مِن كَلامِ الآدميِّ، وإلّا فقِراءةُ القُرآنِ الكريم أَفضلُ مِن التَّسبيحِ والتَّهليلِ المطلقِ، وكذا المأثورُ في وقتٍ أو حالٍ ونَحوِ ذلكَ، فالاشتِغالُ به أفضلُ.

وهذا الذِّكرُ مُشتمِلٌ على التَّنزيهِ والثَّناءِ والتَّوحيدِ والتَّعظيمِ للهِ سبحانه وتعالى، فجَمَعَ بذلك أعظَمَ الصِّفاتِ للهِ تبارك وتعالى وأعظَمَ الأسماءِ، وكَلماتُه هنَّ المنْجياتُ والمقدَّماتُ والباقِياتُ الصّالحاتُ.

وفي الحديثِ: بيانُ فضْلِ ذِكرِ اللهِ جل وعلا بهذه الكلماتِ، وأنَّ أجرَهنَّ يَبقى في الآخرَةِ.

وفيه: الحضُّ على الإكثارِ مِن الذِّكرِ؛ لِما له مِن الأجرِ والفضلِ.

قال الإمام ابن العربي رحمه الله تعالى: أطلق المفاضلة بين قول هذه الكلمات وبين ما طلعت عليه الشمس ومن شرط المفاضلة استواء الشيئين في أصل المعنى ثم يزيد أحدهما على الآخر.

وأجاب بما حاصله أفعل قد يراد به أصل الفعل لا المفاضلة كقوله تعالى: (خير مستقرًا وأحسن مقيلًا) ولا مفاضلة بين الجنة والنار وقيل يحتمل أن يكون المراد أن هذه الكلمات أحب إلي من أن يكون لي الدنيا فأتصدق بها والحاصل أنّ الثواب المترتب على قول هذا الكلام أكثر من ثواب من تصدق بجميع الدنيا.

«تحفة الأحوذي، المباركفوري، (١٠/٤٠)».

١٢- ومن فضائلهن: أنّهنّ يقمن مكان الصدقة بالمال:

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «جاءَ الفُقَراءُ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالوا: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأمْوالِ بالدَّرَجاتِ العُلا، والنَّعِيمِ المقِيمِ يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، ويَصُومُونَ كما نَصُومُ، ولَهُمْ فَضْلٌ مِن أمْوالٍ يَحُجُّونَ بها، ويَعْتَمِرُونَ، ويُجاهِدُونَ، ويَتَصَدَّقُونَ، قالَ: ألا أُحَدِّثُكُمْ إنْ أخَذْتُمْ أدْرَكْتُمْ مَن سَبَقَكُمْ ولَمْ يُدْرِكْكُمْ أحَدٌ بَعْدَكُمْ، وكُنْتُمْ خَيْرَ مَن أنتُمْ بيْنَ ظَهْرانَيْهِ إلَّا مَن عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وتَحْمَدُونَ وتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، فاخْتَلَفْنا بيْنَنا، فقالَ بَعْضُنا: نُسَبِّحُ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، ونَحْمَدُ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، ونُكَبِّرُ أرْبَعًا وثَلاثِينَ، فَرَجَعْتُ إلَيْهِ، فقالَ: تَقُولُ: سُبْحانَ اللَّهِ، والحَمْدُ لِلَّهِ، واللَّهُ أكْبَرُ، حتَّى يَكونَ منهنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاثًا وثَلاثِينَ».

«أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥)».

هذا ما تمّ ايراده، نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لعمل الباقيات الصالحات، وأن ينفع بما كُتب، وأن يجعله من العلم النافع والعمل الصالح، والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع:

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، للإمام محمد بن جرير الطبري.

٢- الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)، للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي.

٣- تفسير القرآن العظيم، (تفسير ابن كثير)، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير.

٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي.

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي.

٦- المختصر في التفسير، مركز تفسير.

٧- التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٨- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

٩- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

١٠-مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني.

١١-سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني.

١٢-سنن الترمذي، الحافظ أبو عيسى محمد الترمذي.

١٣-السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي.

١٤- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن ماجه القزويني.

١٥- الجامع الصغير من حديث البشير النذير، للإمام جلال الدين السيوطي.

١٦- الترغيب والترهيب، للإمام عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري.

١٧- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.

١٨- المعجم الأوسط للطبراني، للإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

١٩- التيسير بشرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي.

٢٠- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، عبد الرحمن المباركفوري.

٢١- صحيح الجامع، المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

٢٢- صحيح الترمذي، المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

٢٣- تخريج مشكاة المصابيح، المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

٢٤- الموسوعة الحديثية بالدرر السنية.

٢٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي.

٢٦- فتح القدير، للإمام محمد بن علي الشوكاني.

٢٧- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.